204924 ـ هل يوصف الله تعالى بالعقل ؟

السؤال

هل قول الله عز وجل : " أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ " فيه إثبات صفة العقل لله عز وجل ؟ سؤالي لأني كنت قد أنكرت على من وصف الله بالعقل ، وقلتُ : بل قل هو عليم حكيم ولا تقل هو عاقل. فالله يذم هؤلاء الذي اتخذوا من دونه شفعاء لا يعقلون ، فهل نثبت لله صفة العقل ؟ أم أن العقل كمال من وجه ولكن فيه نقص من وجه آخر والله منزه عن ذلك النقص ، فهو سبحانه عليم حكيم ولا نقول هو عاقل .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ، لا مجال للاجتهاد فيها ، فلا يجوز تسمية الله تعالى ، أو وصفه بما لم يأت في الكتاب والسنة .

وقد سبق بيان ذلك في جواب السؤال رقم : (158831) .

ثانيا :

سُمِّي العَقْلُ عَقْلًا لأَنه يَعْقِل صاحبَه عَنِ التَّوَرُّط فِي المَهالِك أَي يَحْبِسه ، وَقِيلَ: العَقْلُ هُوَ التَّمْيِيزُ الَّذِي بِهِ يَتَمَيَّزُ الإِنسان مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ .

والرَجُل العاقِل هُوَ الْجَامِعُ لأَمره ورَأْيه ، مأْخوذ مِنْ عَقَلْتُ البَعيرَ إِذا جَمَعْتَ قَوَائِمَهُ ، وَقِيلَ: العاقِلُ الَّذِي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها، أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدِ اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ .

انظر : "لسان العرب" (11/ 458).

وهذه المعاني إنما تناسب المخلوق الذي يحتاج في تصرفاته إلى ما يميز به الأشياء ، وإلى ما يمنعه من الوقوع في المهالك والورطات ، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى ، فلا يوصف الله تعالى بالعقل ، إنما يوصف بالعلم والحكمة والخبرة ؛ كما وصف نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا نتجاوز القرآن والحديث ؛ قال تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) البقرة/ 231 ، وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء/ 11 ، وقال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) الأنعام/ 73 ، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ، مشهورة معروفة .

قال شهاب الدين الرملي رحمه الله :

" لَا يَجُوزُ وَصْفُ اللَّهِ بِالْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ عِلْمٌ مَانِعٌ عَنْ الْإِقْدَامِ عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي مَأْخُوذٌ مِنْ الْعِقَالِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى إنَّمَا يُتَصَوَّرُ فِيمَنْ يَدْعُوهُ الدَّاعِي فِيمَا لَا يَنْبَغِي " انتهى من "فتاوى الرملي" (4/ 219-220) .

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله :

" الباري تعالى يوصف بصفة العلم ، ولا يوصف بصفة العقل ، وما ساغ وصفه تعالى به : أفضل مما لم يسغ ، وإن كان العلم الذي يوصف به تعالى قديما ، ووصفنا حادث ، فإن الباري لا يوصف بصفة العقل أصلا ، ولا على جهة القدم " انتهى من "الحاوي" (2/ 166) .

وسئل علماء اللجنة :

هل من وصف الله تعالى بالعقل المدبر للتقريب إلى أفهام العامة يكفر أو لا ؟

فأجابوا : " إذا كان الواقع كما ذكر من وصفه الله بالعقل المدبر للتقريب إلى العامة فقد أساء بإطلاق ذلك على الله تعالى ؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية ، ولم يطلق الله ذلك على نفسه اسما أو وصفا، ولم يطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه لا يكفر لعدم سوء قصده ، ويكفيه في الإيضاح للعامة وغيرهم وصفه تعالى بكمال العلم وإحاطته ، والحكمة البالغة في تقديره وتدبيره في تشريعه وخلقه ، وتصريفه لجميع شؤون عباده ، فذلك يغنيه عن تسميته أو وصفه بما لم يسم ولم يصف به نفسه ، مع ما في إطلاق العقل المدبر عليه سبحانه من مشابهة الفلاسفة في قولهم بالعقول العشرة " انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة" (3/ 198) .

ثالثا :

أما قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) الزمر/ 43 .

فمعنى الآية : أن الله تعالى يذم الْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ شُفَعَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَهُمُ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ، بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ حَدَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَهِيَ لَا تملك شيئا من الأمر، بل وَلَيْسَ لَهَا عَقْلٌ تَعْقِلُ بِهِ ، وَلَا سَمْعٌ تَسْمَعُ بِهِ ، وَلَا بَصَرٌ تُبْصِرُ بِهِ ، بَلْ هي جمادات أسوأ مِنَ الْحَيَوَانِ بِكَثِيرٍ .." .

انتهى من "تفسير ابن كثير" (7/ 91-92) .

قوله تعالى : (أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) توبيخ لهم على ما يفعلونه من اتخاذ ما لا يملك شيئا ، ولا يعقل شيئا : شفعاء عند الله ، وكيف يكون من هذا حاله شفيعا مجابا ، فضلا عن أن يكون إلها معبودا ؟!

كيف تدعون من دون الله جمادات لا تعقل ، وتتخذونها شفعاء عند الله ؟

فلا مدخل لهذا كله بصفات الباري سبحانه ، الذي تنزه عن كل نقص وعيب .

والله تعالى أعلم .